«الوطن القومي اليهودي» وشرق الاردن

د. محسن يوسف

يدّعي الكثير من الاسرائيليين والصهيونيين السياسيين والأكاديميين بأن الانتداب البريطاني على فلسطين كان يضمّ جميع المنطقة التي تعرف، اليوم، باسمي «فلسطين» و«الاردن». وبما ان بريطانيا وعدت اليهود بانشاء «وطن قومي يهودي» لهم في فلسطين، فان هذا الوطن، حسب رأيهم، يجب ان يضمّ جميع فلسطين والاردن. ويدّعون كذلك بأن بريطانيا خانتهم في العام ١٩٢١، عندما أقامت حكومة عربية في شرق الأردن، بقيادة الأمير عبدالله بن الشريف حسين. وهذا يعني، بالنسبة اليهم، ان العرب والفلسطينيين قد «اغتصبوا»، بطريقة أو بأخرى، أكثر من ٨٠ بالمئة من مساحة «الوطن القومي اليهودي»، في العام ١٩٤٨، وبقوا «يغتصبون» أكثر من ٧٥ بالمئة منه حتى بعد احتلال اسرائيل للضفة الفلسطينية وقطاع غزة في العام ١٩٦٧[١].

من المعروف ان الحكومات والأحزاب الاسرائيلية الرئيسة ترفض ان تعلن عن الحدود النهائية التي تعترف بها لدولة اسرائيل، وذلك لكي لا تلتزم بها فيما بعد. فالحدود، بالنسبة اليهما، هي أقصى حدّ يصل اليه الجيش الاسرائيلي. فالأحزاب اليمينية التي تسيطر على الحكومة الاسرائيلية اليوم، والتي تساوي نسبة أعضائها في الكنيست أكثر من ٥٤ بالمئة، لا تقبل بحدود ١٩٤٨ كحدود لاسرائيل، بل انها لا تقبل بنهر الأردن كحدّ لهذه الدولة، وما زالت تصرّ على ان «أرض اسرائيل» تقع الى الغرب، والى الشرق، من نهر الأردن. حتى أحزاب الوسط الاسرائيلية، مثل حزب «العمل» وحزب «التغيير»، تعتبر الأردن جزءاً من «أرض ـ اسرائيل» من ناحية تاريخية، ودينية، وقانونية. الّا ان هذه الاحزاب تدّعي بأنها مستعدة للتنازل عن هذه المنطقة وبعض المناطق كثيفة السكان في الضفة والقطاع، في سبيل التوصل للسلام مع العرب والفلسطينيين.

على الرغم من ان الغالبية العظمى من الصهيونيين قد وافقت على قرار تقسيم فلسطين، في العام ١٩٤٧، الّا ان هؤلاء الصهيونيين سرعان ما تجاهلوا هذا القرار في العام ١٩٤٨، بعد ان تخطّى جيشهم الحدود المرسومة لهم. وعندما يجرى الحديث، اليوم، في هيئة الامم المتحدة، أو غيرها من المحافل الدولية، عن ضرورة تقسيم فلسطين بين الفلسطينيين والاسرائيليين، وعن ضرورة انشاء دولة للفلسطينيين في فلسطين، يسارع عدد كبير من الساسة والأكاديميين الاسرائيليين، وفي مقدّمهم الوزير الاسرائيلي اريئيل شارون، الى الادعاء بأن فلسطين قد قسمت بين الفلسطينيين والاسرائيليين في العام ١٩٢١، وأن الفلسطينيين قد حصلوا على دولتهم، التي أسموها الأردن، والتي تساوي مساحتها أكثر من ثلاثة أرباع فلسطين الأصلية، في حين أقيم «الوطن القومي اليهودي» على أقل من ربع مساحتها.

ان الموقف السياسي الاسرائيلي الذي يعتمد على قراءة مغلوطة للتاريخ، بقصد أو بغير قصد، يصبح خطِراً جداً، في ضوء الوضع الحالي الذي يسود في منطقة الشرق الأوسط، والمتمثل في